المحاضرة الأول

نشأة وتأريخ علم النفس وتطوره:

The origin and history of psychology

المرحلة الاولى

تمهيد

لقد خلق الله تعالى الإنسان من طين ، وجعله في أحسن تقويم وهو ادم عليه السلام ثم خلق الله تعالى منه زوجه حواء ثم تكاثر منهما الكثير من الرجال والنساء ومنهم تكونت البشرية من شعوب وقبائل حتى عصرنا الحالي ، وذلك كما جاء في القران الكريم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً{١}. وهذه حقيقة لا يستطيع ان ينكرها احد لان التاريخ والمنطق والعقل يصدق هذا الواقع ويقبله ويعلم الحقائق علم اليقين .

موضوع علم النفس

عادة ما يعرف علم النفس اليوم بأنه العلم الذي يدرس السلوك والعمليات العقلية ، وكلمة علم النفس psychology مشتقة من كلمة يونانية تعني " دراسة العقل او الروح " . وإذا كان علم النفس يدرس السلوك فان الأسئلة التي تطرح من قبل الانسان كثيرة حول طبيعة السلوك البشري ودوافعه وكيفية تكون انفعالاته وعواطفه ، تحصيله ونجاحاته او إخفاقاته ما هي الأسباب وما هي الحلول . كما تعتبر دراسة عقل الانسان وأسباب سلوكه وسلوك الاخرين من الموضوعات الاكثر تشويقا بالإضافة الى محاولة الانسان عبر العصور ولا يزال تفسير الظواهر الطبيعية المحيطة به وإيجاد الشروح المقنعة حولها .

ان دراسة النفس الإنسانية لم تكن بعيدة عن تفكير معظم الحضارات والفلسفات في الماضي وكل حضارة أعطت تفسيرا يتناسب مع طبيعتها ومعتقداتها . وكأي علم آخر كان علم النفس جزءا من الفلسفة ثم انشق عنها لذلك توصف المرحلة الأولى بالمرحلة الفلسفية . وهذا يجعلنا نبدأ مع الفلسفة اليونانية وصولا الى المدارس الحديثة في علم النفس :

اولا : المرحلة الفلسفية : حيث انصب اهتمام علم النفس في دراسة العلاقات التي ترتبط بين الجسد والروح . نبدأ بمفهوم " سقراط " للنفس وهو عبارة عن فلسفة حكيمة تتضمن مجمل النواحي الأخلاقية ذات الطبيعة العقلانية : فالإنسان هو دائما في امتحان ماذا يقبل وماذا يرفض وذلك من خلال وعي الذات بواسطة الذات ووعي الذات بالنسبة للآخرين وهذا ما تؤكده مقولته المشهورة " اعرف نفسك بنفسك " . اذ بالنسبة له الأفضل ان تبحث في الانسان لا في الاشياء . أما " أفلاطون " فهو صاحب نظرية المثل وحسب رأيه الانسان مركب من جزأين مادي وهو

الجسم وجزء الهي خالد وهو النفس . اما " ارسطو " انتقد كل ما سبقه بقوله هناك اتحاد بين النفس والجسد يعبر عنه بنشاطات مختلفة ، والنفس هي الرجع وأساس الحياة وسبب الإحساس والإدراك وهي مصد الحياة والفكر والنفس ليست جسد ولكن شيء من الجسد.

نستطيع ان نقول ان فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر درسوا معطيات الحياة الذاتية او الوعي بذاته عن طريق منهج الاستبطان Introspection الذي يقوم على تأمل الوعي لذاته

ثانيا : تمثلت المرحلة الثانية " القرن التاسع عشر " في محاولة علم النفس الانفصال عن الفلسفة وحل موضوع الوعي او الفكر محل الروح وتميزت هذه المرحلة بالاهتمام المتزايد لبعض علماء الفيزياء والطب بقضايا علم النفس وعلى الأخص موضوع الأحاسيس وعلاقتها بالمثيرات الفيزيائية ، كما خصصت المقاعد الجامعية لتعليم علم النفس . وقد استعمل هؤلاء العلماء المنهج التجريبي في دراسة الموضوعات النفسية ، ولكن كل أعمالهم التجريبية كانت تلجا في النهاية الى الاستبطان فسمي هذا المنهج بالاستبطان التجريبي . وفيه يقوم الشخص بحل مشكلة تجريبية معينة ويصف في الوقت نفسه الحالات التي تمر في وعيه .

ثالثا : تميزت المرحلة الثالثة " النصف الأول من القرن العشرين " بنشوء المدرسة السلوكية التي أسسها عالم النفس " جون واطسن " وبدأت مع هذه المدرسة الدراسة العلمية للسلوك ، واعتبر ان السلوك هو الذي سيشكل الأساس الموضوعي لقيام علم النفس التعليمي لان السلوك وحده وليس الوعي يمكن ان يخضع الى الملاحظة الموضوعية .

وعلم النفس مثل أي علم يهدف الى توضيح وتحليل الظواهر التي تدخل ضمن حقله . وكغيره من العلوم له مجالاته التطبيقية مثل علم النفس الاجتماعي علم النفس النمو وعلم النفس التربوي وعلم النفس الجنائي و الخ،

لطفي ، فطيم ، ١٩٨٣، علم النفس في مائة عام ، دار الطليعة ، بيروت